﴿أَوْ تَقُولُواْ لَوْ أَنَّآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْكِتَٰبُ لَكُنَّآ أَهْدَىٰ مِنْهُمْ ۚ فَقَدْ جَآءَكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ ۚ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا ۗ سَنَجْزِى ٱلَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ ءَايَٰتِنَا سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُواْ يَصْدِفُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ [الأنعام: 157]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

المناسبةُ بين الرَّدِّ على عدمِ دراسةِ ما قبلَهم، وأنَّه لا حـجَّـةَ بعد نـــزولِ الـقـرآنِ عليهم

الآية امتدادٌ لسياق سابقتها؛ إذ ذُكرت في سابقتها الحُجَّة الأولى الَّتي قالوا فيها: ﴿أَن تَقُولُوٓاْ إِنَّمَآ أُنزِلَ ٱلْكِتَٰبُ عَلَىٰ طَآئِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا وَإِن كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمْ لَغَٰفِلِينَ﴾، أو أنَّهم من المحتمل أن يقولوا ذلك، فإنَّه في هذه الآية أردفها بحجَّة أخرى، فقال: ﴿أَوْ تَقُولُواْ لَوْ أَنَّآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْكِتَٰبُ لَكُنَّآ أَهْدَىٰ مِنْهُمْ﴾؛ فيردُّ عليهم بأنَّه قد أنزل إليهم القرآن، وهو الرِّسالة المهيمنة، على ما سبقها من الكتب والبيِّنات، وقد جاءكم بساطع البرهان، وقاطع التِّبيان، ممَّا لا عذر بعده لمعتذر، ولاحجَّة بعد نزوله لمحاجج.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿أَهْدَىٰ﴾: من (هدي)، وهداه للسَّبيل وإلى السَّبيل، وهداه من الضَّلالة فاهتدى، وهدى هَدْيَ فلان: سار سيرته، وما أحسن هديَهُ! وهو لا يتهدَّى لذلك[1]، و"قد ورد (هدى) في الكتاب العزيز على ثلاثة أوجه: معدّى بنفسه كقوله (تعالى): ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾﴾ [الفاتحة: 6]، وقوله تعالى: ﴿وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ﴿١٠﴾﴾ [البلد: 10]، ومعدّى باللَّام كقوله (تعالى): ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا﴾ [الأعراف: 43] وقوله تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُ يَهْدِى

(1) الزَّمخشريُّ، أساس البلاغة: (هدي).

لِلْحَقِّ﴾ [يونس: 35]، ومعدّى بإلى كقوله تعالى: ﴿وَٱهْدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ ﴿٢٢﴾﴾ [ص: 22]"[1].

2) ﴿وَصَدَفَ﴾: بمعنى: أعرض، وقال اللَّيث: الصَّدْفُ: الميل عن الشَّيء، وأصدفني عنه كذا وكذا، وصدف ونكب وكنف: إذا عدل[2]، صَدَفَ عن الشَّيء صُدوفًا: أعرض عنه، وتصادفا: تقابلا[3]، ومعناه في القرآن: صَدَف عن الشَّيء؛ إذا مال عنه، وولَّى ذاهبًا، ويقال للإبل الَّتي تقف عند أعجاز الإبل على الحوض، تنتظر انصراف الشَّاربة لتدخل: هي الصَّوادفُ[4].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

إبْطالُ حُجَّةِ الكفَّارِ بعدمِ وجودِ كتابٍ بإنزال الكتابِ المعجزِ البليغِ عليهم

معنى هذه الآية: إبْطالُ حُجَّةِ قريش وسائر العرب، بأنَّهم لم يكن لهم كتاب، فكأنَّه قال: وهذا القرآن يا معشر العرب، أُنزل حُجَّة عليكم؛ لئلَّا تقولوا: إنَّما أنزلت التَّوراة والإنجيل بغير لساننا على غيرنا، ونحن لم نعرف ذلك، فهذا كتاب بِلُغَتِكُم وجاء على لسان رجل منكم، أَوْ تَقُولُوا: لو نُزِّل علينا كتاب؛ لكنَّا أسرعَ إلى الهدى من النَّاس كلِّهم، فقيل لهم: قد جاءكم كتاب من الله وهدى ورحمة، وحيث إنَّ البيِّنة قد جاءت، والحجَّة قد قامت، فسوف يقع التَّقرير بقوله: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا﴾[5]، حينئذٍ ستكونون أظلم النَّاس؛ إذا أعرضتم عن الآيات البيِّنات بعد إذ جاءتكم، ومن جاءهم الهدى، فأعرضوا، وصدُّوا عنه؛ فقد استحقُّوا عقاب الله، وسينالهم أسوأ العذاب، بإعراضهم وصدِّهم عن سبيل الله.

(1) زين الدّين الرّازي، مختار الصّحاح: (هدي).
(2) الأزهريّ، تهذيب اللّغة: (صدف).
(3) الزّمخشريّ، أساس البلاغة: (صدف).
(4) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (صدف).
(5) ابن عطيّة، المُحرّر الوجيز: 2/365 - 366.

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغِيُّ:

دلالةُ الحرفِ ﴿أَوْ﴾ في قوله ﴿أَوْ تَقُولُواْ﴾:

فائدة العطف بـ ﴿أَوْ﴾ هُنا التَّخيير بين أمرين، فقد عرض أمرين محتملين: الأوَّل: اعتذارهم عن دراسة الكتاب لجهلهم بلغته، والثَّاني: ترشيح أنفسهم لتلقِّي الرِّسالة، والتَّأكيد على أنَّهم سيكونون أهدى ممَّن سبقوهم من أهل الكتاب، وكلٌّ من المقالتَيْن مقالةٌ واهيةٌ وحُجّةٌ داحضةٌ، أمام عظيم الأمر، وهو الإيمان بالله تعالى وكتابه الَّذي أنزل؛ إذ إنَّ كلتا الحُجَّتين يشوبُهُما هوى النَّفس، وتصدران عن الكبر الَّذي في صدورهم.

التَّخييرُ في الآية حصرٌ لمساحةِ التَّخبُّطِ في الإعراض عن الكتاب

التَّرقِّي والتَّدرُّجُ في الاعتلال:

قوله: ﴿أَوْ تَقُولُواْ لَوْ أَنَّآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْكِتَٰبُ لَكُنَّآ أَهْدَىٰ مِنْهُمْۚ﴾، جاء بعد قوله: ﴿أَن تَقُولُوٓاْ إِنَّمَآ أُنزِلَ ٱلْكِتَٰبُ عَلَىٰ طَآئِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا وَإِن كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمْ لَغَٰفِلِينَ﴾، وهذا ترقٍّ في الاعتلال في القول، جاء على ما تُكِنُّه نفوس العرب من شفوفهم بأنفسهم على بقيَّة الأمم، وتطلُّعهم إلى معالي الأمور، وإدلالهم بفطنتهم وفصاحة ألسنتهم وحِدَّة أذهانهم وسرعة تلقِّيهم، هم أخلقاء بذلك كلِّه[1]، وفي الإعراب عن هذا الاعتلال منهم تلقين لهم، وإيقاظ لأفهامهم أن يغتبطوا بالقرآن، ويفهموا ما يعود عليهم به من الفضل والشَّرف بين الأمم، كقوله تعالى: ﴿لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ۝١٠﴾ [الأنبياء: 10]، وقد كان الَّذين اتَّبعوا القرآن أهدى من اليهود والنَّصارى ببون بعيد الدَّرجات[2].

التَّخييرُ في الآية يكشفُ عن أهواء الأنفسِ والكِبْرِ الَّذي في صدورهم

غرضُ التَّعبيرِ بالشَّرطيَّة في قولهم: ﴿لَوْ أَنَّآ أُنزِلَ﴾:

ومعنى قوله: ﴿أَوْ تَقُولُواْ لَوْ أَنَّآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْكِتَٰبُ لَكُنَّآ أَهْدَىٰ

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 8/181.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 8/181.

مِنۡهُمۡ﴾، مُفسِّرٌ للأوَّل في أنَّ معناه: لئلَّا يقولوا ويحتجُّوا بذلك[1]، وقد أفاد هذا الشَّرط الانتقال من الإخبار - لحصر إنزال الكتاب على غيرهم، وأنَّه لم ينزل عليهم - إلى الإخبار بحكم على تقدير (والكتاب)، يجوز أن يراد به الكتاب السَّابق ذكره، ويجوز أن يراد الكتاب الَّذي تمنَّوْا أن ينزل عليهم[2].

الإيمانُ لا يقبلُ الافتراضاتِ المشروطةَ، وإنَّما هو تصديقٌ وعملٌ

بلاغةُ العدولِ عن الفعليّة إلى الاسميّة:

ذكَرَ القرآن على ألسنة المشركين أنّهم قالوا: ﴿لَوۡ أَنَّآ أُنزِلَ عَلَيۡنَا﴾ بالصيغة الاسميّة، ولم يقولوا بالصيغة الفعليّة: لو أُنزِلَ علينا؛ ذلك لأنّ الجملة الاسميَّة تدلُّ على الثَّبات على خلاف الجملة الفعليَّة الَّتي تدلُّ على التَّغيير مع الزَّمن، وبلاغة ذلك أنَّهم قد وثَّقوا ادِّعاءهم، ووكَّدوا قولهم، بالجملة الاسميَّة، ومؤكِّدات عديدة، أنَّهم سيكونون أهدى من اليهود والنَّصارى، لو أنَّهم أُنزل الكتاب عليهم.

دلالةُ الثُّبوتِ على اليقينِ في النَّفسِ وانشراحِ الصَّدرِ للإيمانِ

نكتةُ إسنادِ الإنزالِ إلى المبني للمفعول: ﴿أُنزِلَ﴾:

جاء فعلُ الإنزال ﴿أُنزِلَ﴾ بصيغة ما لم يُسَمَّ فاعله لأنَّ المُنزِلَ معلوم، وهو اللّه سبحانه، بمعنى: لوْ أنزلَ اللّه علينا الكتابَ، ولا ينصرفُ الذّهن إلى غيره، وأمثلته في القرآن كثيرة، منها قوله: ﴿فَإِذَا ٱلنُّجُومُ طُمِسَتۡ ۝٨ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ فُرِجَتۡ ۝٩ وَإِذَا ٱلۡجِبَالُ نُسِفَتۡ ۝١٠﴾ [المرسلات: 8 - 10]، فهذه الأفعال وأشباهها لم تُسنَدْ إلى الفاعل لأنّ الفاعل معلومٌ من السّياق، ولا ينصرفُ الذّهنُ إلا إليه سبحانه؛ إذ لا يقدرُ أحدٌ غيره على ذلك.

خالقُ الكونِ والإنسانِ ومنزِّلِ القرآنِ، هو اللهُ تعالى وحده لا شريك له

بلاغةُ تقديمِ شبهِ الجملة ﴿عَلَيۡنَا﴾:

جاء في جملة ﴿لَوۡ أَنَّآ أُنزِلَ عَلَيۡنَا ٱلۡكِتَٰبُ﴾ تقديمُ شبه الجملة ﴿عَلَيۡنَا﴾ للتَّخصيص؛ إذ المعنى لو أنَّ اللّه خصَّنا بالكتاب دونهم؛

تخصيصُ قومٍ بالكتاب لحكمةٍ لا يعلمُها إلَّا اللهُ سبحانه

(1) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 14/6.
(2) أبو حيّان، البحر المحيط: 4/257.

لكُنَّا أهدى منهم، وهذا من قبيل الأماني على الله؛ لذلك فقد جاءهم الرَّدُّ الحاسم، بقوله: ﴿فَقَدْ جَآءَكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾، أي: جاءكم الكتاب، وهو القرآن، واضحًا بيّنًا، فما الَّذي يمنعكم من الهداية، أو من أن تكونوا أهدى النَّاس.

معنى (ال) في لفظ ﴿ٱلْكِتَٰبُ﴾:

(الـ) التَّعريف في لفظ ﴿ٱلْكِتَٰبُ﴾ للجنس، أي: جنس الكتاب الَّذي هو كناية عن الرِّسالة القادمة من الله تعالى، لما فيها من الحفاوة والشَّرف العظيم، ولذلك قالوا: ﴿عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾﴾ [الزّخرف: 31]، فقد كانت نفوسُهم تتشوَّف إلى ذلك الشَّرف طلبًا له ولكرامته.

الـكـتـابُ هـو القـرآنُ الكريمُ الَّـذي بـشَّـرتْ بـهِ الـرِّسـالاتُ السَّابقةُ

معنى اللَّامِ في ﴿لَكُنَّآ﴾:

اللَّام في ﴿لَكُنَّآ﴾ في قوله تعالى ﴿لَكُنَّآ أَهْدَىٰ مِنْهُمْ﴾ هي للتَّوكيد، وفائدة التَّوكيد محاولة إثبات المتكلّمين صدقهم فيما يدَّعونه، وتأكيد الاتِّصاف بالهداية في الزَّمن الماضي، بل تأكيد كونهم أهدى من اليهود والنَّصارى، ويعكس التَّوكيد ما في نفوسهم من تناقضات واختلافات، فتفضح شكوكهم وضعف قناعاتهم.

التَّـوكـيـداتُ في كـلامِ المعارضينَ كَـشْـفٌ لخبايا الـنَّـفـس وتناقضاتها

نكتةُ التَّعبيرِ بالفعل (كان) في صيغة المُضيّ:

(كان): فعل ماضٍ ناقص غير أنَّ (كان) لا تختصُّ بالماضي فقط، بل قد تكون لغيره، وأبرز معانيها الماضي المنقطع، وهي في قولهم ﴿لَكُنَّآ أَهْدَىٰ مِنْهُمْ﴾ تُفيدُ ذلك؛ إذ أرادوا بيان اتِّصافهم بالحدث في الزَّمن الماضي على وجه الثُّبوت، وهي هُنا لاتِّصافهم بالهداية أكثر من اليهود والنَّصارى، فوصفوا أنفسهم بأفضل أوصاف المُهتدين بالكتاب.

يُستَخدَمُ غالبًا أُسلوبُ الماضي المنقطع في وصف الأماني التي لا تتحقَّقُ

نكتةُ استعمال صيغة ﴿أَهْدَىٰ﴾:

صيغة ﴿أَهْدَىٰ﴾ صيغةُ مبالغة، ومعنى ﴿أَهْدَىٰ مِنْهُمْ﴾: أرشد

الـهـدايـة نـورٌ يُقذف في القلب، لا تتأتَّى بالأماني وأهواءِ النُّفوس

وأسرع اهتداء من الطّائفتين، لكونه نزل علينا بلساننا، فنحن نتفهَّمه ونتدبَّره، وندرك ما تضمَّنه من غير إكداد فكر، ولا تعلّم لسان، على خلاف الكتاب الَّذي أنزل على الطَّائفتين، فإنَّه بغير لساننا، فنحن لا نعرفه ونَغْفُلُ عن دراسته، أو أهدى منهم لكون اليهود والنَّصارى، قد افترقت فرقًا متباينة، فلا نعرف الحقَّ من الباطل[1].

عودُ الضَّميرِ وغرضُ الإضمارِ في ﴿مِنْهُمْ﴾:

الـعـربُ هم مَعْقِدُ التَّحدِّي بـالـقـرآن، لِما وصلوا إليه من الرُّقيِّ اللُّغويِّ

قوله: ﴿لَكُنَّآ أَهْدَىٰ مِنْهُمْ﴾، أي: من الأمم قبلهم الَّذين أنزل عليهم الكتب، والجمع هنا باعتبار الفرقة والطَّائفة[2]، قال قتادة: يعني بالطَّائفتين اليهود والنَّصارى، وقال: يعني بالدَّراسة التِّلاوة، ثمَّ قال تعالى: ﴿لَكُنَّآ أَهْدَىٰ مِنْهُمْ﴾، أي: أفهم وأوعى منهم، لأنَّهم يحفظون أشعارهم وأخبارهم، وهم أمِّيُّون[3]، والمعنى العام: إذ لدينا من القُدُرات اللُّغويَّة، ما تؤهِّلنا إلى أن نكون أهدى النَّاس، وهذا ما أكَّده الواقع عندما نزل عليهم القرآن، فكانوا أكثر النَّاس فهمًا له، وكانوا هم ميدان التَّحدِّي من جانب القرآن.

بلاغةُ المؤكِّداتِ في الجملة الشَّرطيَّة ﴿لَوْ أَنَّآ﴾:

عـدمُ القناعاتِ الدَّاخليَّة، تتجلّى في تـأكـيـداتٍ وتـعـبـيـرات متواليَةٍ

تعدَّدَتِ المؤكِّداتُ في الجملة الشَّرطيَّة في قوله: ﴿أَوْ تَقُولُواْ لَوْ أَنَّآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْكِتَٰبُ لَكُنَّآ أَهْدَىٰ مِنْهُمْ﴾، حيث نجد التَّوكيد بـ (أنَّ)، والضَّمير (نا)، ولام التَّوكيد، في ﴿لَكُنَّآ﴾ وصيغة المُبالغة في ﴿أَهْدَىٰ﴾، فتعدُّد المؤكِّدات هنا، يدلُّ على عدم القناعة الذَّاتيَّة لدى المتكلِّمين أنفسهم بما يقولون، فاحتاجوا إلى طمأنة ذواتهم وإثبات ما يقولون إلى تلك المؤكِّدات.

(1) أبو حيّان، البحر المحيط: 4/257.
(2) عبد القادر العاني، بيان المعاني: 3/427.
(3) النّحّاس، معاني القرآن: 2/521.

الإيجازُ بحذف الشَّرط:

تـنـزُّل الـقـرآنِ الكريمِ يكشف عن الصِّدق من الزَّيف

قوله تعالى: ﴿فَقَدْ جَآءَكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ هو جوابٌ لشرط محذوف، يدُلُّ عليه المقام، والمعنى: إنْ صدقتكم فيما كنتم تعِدُّون من أنفسكم، فقد جاءكم بيِّنة من ربِّكم، فحذف الشَّرط، وهو من أحاسن الحذف وأبلغه.

ومن أهل التّفسير من يرى أنَّ الفاء في الفعل ﴿فَقَدْ جَآءَكُم﴾ هي الفصيحة، أي: الفاء التي تُفصِحُ عن كلام محذوف قبلها، ويؤولُ الكلامُ إلى معنى واحد مُفاده: إذا كنتم تَقولون ذلك، ويهجس في نفوسكم؛ فقد جاءكم بيانٌ من ربِّكم، يعني: القرآن، يدفع عنكم ما تستشعرون من الانحطاط عن أهل الكتاب[1]، والجملة بلفظ التَّعنيف جواب شرط جازم محذوف، مقترن بالفاء، في محلِّ جزم، وجاء التَّبكيت عليهم؛ لأنَّهم كانوا قد اشترطوا لإيمانهم.

غرضُ التَّحقيقِ بـ ﴿فَقَدْ﴾:

إقـامـةُ الـحـجَّةِ عـلـى مـشـركي الـعـرب وقطع احتجاجهم

ودَوْرُ (قَدْ) في قوله: ﴿فَقَدْ جَآءَكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ هو تأكيدُ الكلام وتحقيقه، وغرضه إثبات الحُجَّة على الَّذين يجادلون، ويُحاجُّون، فقوله: ﴿فَقَدْ جَآءَكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ تبكيت لهم[2]، وقد أطبق المفسِّرون على أنَّ الغرض بهذه الجملة إقامة الحجَّة، على مشركي العرب وقطع احتجاجهم[3].

نكتةُ إسنادِ المجيء إلى البيِّنة:

مـجـيءُ الـبـيِّـنـةِ هـو فـضـلُ الله لهداية البشر

قوله: ﴿فَقَدْ جَآءَكُم بَيِّنَةٌ﴾، أي: فقد جاءكم كتابٌ بلسانكم عربيٌّ مبين، حجَّة عليكم واضحة بيِّنة من ربِّكم[4]، فأسند المجيء إلى البيِّنة في قوله: ﴿فَقَدْ جَآءَكُم بَيِّنَةٌ﴾، وهو على

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 8/181.
(2) الزّمخشريّ، الكشّاف: 2/77.
(3) أبو حيّان، البحر المحيط: 4/697.
(4) ابن جرير، جامع البيان: 12/243.

سبيل المجاز العقليِّ، من الإسناد إلى المفعول؛ لأنَّ اللّه هو الَّذي آتاكم تلك البيِّنة.

الالتفاتُ بينَ صيغة: ﴿أُنزِلَ﴾ وصيغة ﴿فَقَدْ جَآءَكُم﴾:

بمجيءِ بيِّنةِ القرآنِ العجيبِ قَطَعَتْ جَهيزةُ قولَ كلِّ خطيبٍ

الالتفاتُ من البناء للمفعول ﴿أُنزِلَ﴾، يعكس ما فيه من التَّحسُّر، فبإنزال الكتاب عليهم تحقيق فخر لهم، وهيمنة على ما حولهم من الأمم، لكنَّه كما قالوا: ﴿أُنزِلَ ٱلْكِتَٰبُ عَلَىٰ طَآئِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا﴾، فالتفت إلى البناء للمعلوم في قوله: ﴿فَقَدْ جَآءَكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾، بشرى لهم بالكرامة الَّتي أصابتهم، فقد جاءهم البيِّنة، وهو الكتاب، وهو القرآن الكريم المُهيمن على الكُتب كلِّها.

نكتةُ تنكيرِ ﴿بَيِّنَةٌ﴾ وتقديمها في الذِّكر:

البيِّنةُ هي القرآنُ الكريمُ المُعجزُ في بيانه ونظمه وأدلَّته

وتنكير بيِّنة في قوله جلّ شأنه: ﴿فَقَدْ جَآءَكُم بَيِّنَةٌ﴾ للتَّعظيم، وتقديمها على الهدى والرَّحمة؛ لأنَّها الأصل فيهما، وقد أضاف بيِّنة إلى ﴿مِّن رَّبِّكُمْ﴾، فقال: ﴿بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾، ولو عُرِّفت بـ(الـ)؛ لقال: فقد جاءكم البيّنة، كما في سورة البيِّنة: ﴿إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ۝٤﴾ [البيّنة: 4].

البيّنة كنايةٌ عن موصوفٍ هو القرآن في هذه الآية الكريمة:

القرآنُ الكريمُ هو الإعجازُ الَّذي تضمَّن الهُدى والرَّحمةَ

قوله: ﴿فَقَدْ جَآءَكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ﴾، هذا التَّركيب في مجموعه كناية عن موصوف هو القرآن، وقد عُدل من الكناية عن الموصوف إلى الوصف؛ لأنَّ الوصف هو الذي عليه المُعوَّل في الهداية وإقامة الحُجَّة، وهي البيِّنة والهُدى والرَّحمة[1]، والبيِّنة ما به البيان وظهور الحقِّ، فالقرآن بيِّنة على أنَّه من عند اللّه لإعجازه بُلَغاءَ العرب، وهو هدى بما اشتمل عليه من الإرشاد إلى طرق الخير، وهو رحمة بما جاء فيه من شريعة سمحة لا حرج فيها،

(1) المطعنيّ، التّفسير البلاغيّ للاستفهام: 1/357.

فهي مقيمة لصلاح الأمَّة مع التَّيسير، وهذا من أعجب التَّشريع، وهو أدلُّ على أنَّه من أمر العليم بكلِّ شيء[1]، ويتوسَّع المعنى في كناية البيِّنة، في قول ابن عبَّاس: ﴿فَقَدْ جَآءَكُم بَيِّنَةٌ﴾، أي: حجَّة، وهو النَّبيُّ، والقرآن، والهدى، والبيان، والرَّحمة، والنِّعمة[2].

نكتةُ تنكير لفظي: ﴿وَهُدًى﴾ و﴿وَرَحْمَةٌ﴾:

تنكير ﴿وَهُدًى وَرَحْمَةٌ﴾ للتَّفخيم والتَّعظيم، فلا يحدُّهما تعريف أو وصف، فهذه البنية تحقِّق غاية الهُدى، وهي تمام الرَّحمة من الله تعالى

تـمـامُ الـهـدى وغاية الرَّحمة في القرآن

فائدةُ الجمعِ بين البيِّنة والهدى:

أمَّا فائدة الجمع بين البيِّنة والهدى في قوله: ﴿فَقَدْ جَآءَكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ﴾؛ فإنَّ القرآن بيِّنة فيما يعلم سمعًا، وهو هدى فيما يعلم سمعًا وعقلًا، فلمَّا اختلفت الفائدة؛ صحَّ هذا العطف، وقد بيَّنَّا أنَّ معنى رحمة، أي: نعمة في الدِّين[3]، وقوله: ﴿وَهُدًى وَرَحْمَةٌ﴾ عطفٌ على ﴿بَيِّنَةٌ﴾ وتنوينُهما - أيضًا - تفخيميٌّ، عبَّر عن القرآن بالبيِّنة إيذانًا بكمال تمكُّنهم من دراسته، ثمَّ بالهُدى والرَّحمة تنبيهًا على أنَّه مشتملٌ على ما اشتمل عليه التَّوراةُ من هداية النَّاس ورحمتِهم، بل هو عينُ الهداية والرَّحمة[4].

ذكـرُ (الـبـيِّـنـة) توحي بدراسته، وذكـر (الـهـدى) لاشـتـمـالـه على ما في التَّوراة

التَّفريعُ في قوله: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ﴾:

تفرَّع عن هذا الإعذار لهم الإخبارُ عنهم بأنَّهم لا أظلم منهم؛ لأنَّهم كذَّبوا وأعرضوا؛ فالفاء في قوله: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ﴾ للتَّفريع، وقد كشف بذلك عن زيف الادِّعاء في طلب الإيمان، فقد جاءهم كتابٌ بيِّنٌ بلُغتهم، وهم أرباب الفصاحة، وأهل البيان وأجدرُ النَّاس

مـن أعـرضَ عـن الـحـقِّ بعد الـدَّلـيـل؛ فهو من أظلمَ النَّاس عند الجليل

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 8/182.
(2) ابن الجَوزيّ، زاد المسير: 2/95.
(3) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 14/187.
(4) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 3/202.

بمعرفة أنَّ هذا القرآن، هو كتاب اللّه، وما هو بقول بشر، ولا بقول كاهن أو ساحر، لكنَّهم أعرضوا عنه، فكانوا بذلك أظلم النَّاس وأجحدهم موقفًا.

سرُّ مجيءِ لفظة الرَّبِّ ونكتةُ الإضافة:

جـاءتْ لفظةُ (رَبّكُم) لتقريبِ الهداية والرُّجوع عن المُكابرة

في قوله: ﴿بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾، أضاف البيِّنة إلى ربِّهم؛ تعريفًا بكونها من أعظم البيِّنات، وجاء بلفظ (الرَّبِّ) تقريبًا للهداية إليهم، وقوله: ﴿رَّبِّكُمْ﴾، مناسبة لمقتضى حال المُخاطبين؛ إذ إنَّهم لمَّا قالوا: ﴿إِنَّمَآ أُنزِلَ ٱلْكِتَٰبُ عَلَىٰ طَآئِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا﴾، وقالوا: ﴿لَوْ أَنَّآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْكِتَٰبُ لَكُنَّآ أَهْدَىٰ مِنْهُمْ﴾، يريدون القول بأنَّ الكتاب لم يُنزَّل علينا؛ فقولهم هذا صادر عن نفوس تتباعد عن مصدر التَّنزيل والتَّشريع، فجاءهم الخطاب هنا مُطمئنًا لهم: أنَّ ربَّهم هو الَّذي أنزل عليهم القرآن، وهو بيِّنة من ربِّهم، والخطاب مُداراة للنُّفوس، وتطمينٌ لها، وشدٌّها إلى الإيمان.

بلاغةُ الاستفهامِ الإنكاريِّ ودلالته في قوله ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ﴾:

أظلـمُ النَّـاسِ مـن جاءتـهم الآيات البيِّناتُ، ثـمَّ جحدوها وأنكروها

الاستفهام في قوله: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ﴾ إنكاريٌّ، أي: لا أحد أظلم من الَّذين كذَّبوا بآيات اللّه[1]، بعد ما عرفوا صحَّتها وصدقها، أو تمكَّنوا من معرفة ذلك ﴿وَصَدَفَ عَنْهَا﴾ النَّاس فضلُّوا وأضلُّوا، ﴿سَنَجْزِى ٱلَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ ءَايَـٰتِنَا سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ﴾[2]، وهو من قبيل الإنكار التَّوبيخيِّ، وهو يكون على فعلٍ قد وقع، بمعنى: ما كان ينبغي أن يكون، ومنه قوله: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا﴾.

نكتةُ التَّعبيرِ بـ﴿أَظْلَمُ﴾ مادَّةً وصيغةً:

وقد تكرَّرتْ صيغةُ أفعل التَّفضيل ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ﴾ في القرآن الكريم

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 8/182.
(2) الزّمخشريّ، الكشّاف: 2/77.

مرَّات كثيرة؛ وقد جاءت وصفًا في جميع آياتها لموصوف واحد هم المشركون؛ لأنَّهم أظلم الظَّالمين[1]، ويدلُّ اسم التَّفضيل على الزِّيادة في أصل الفعل غالبًا، وهو في الآية الكريمة كذلك، فالظُّلم هنا يشمل ظلم نفوسهم، فقد كذَّبوا الرَّسول ﷺ، وما هو بأهل للتَّكذيب، وكذَّبوا بآيات الله، وهي آياتٌ بيِّنات واضحاتٌ جليّاتٌ، وصدُّوا عن سبيله، وهو السَّبيل الوحيد الموصل إلى الهداية، فمجموع ذلك كلِّه زيادة في أصل الفعل من الكفر والتَّكذيب.

المشركون أظلمُ النَّاس؛ لأنَّهم بالغوا في ظلمِهم، وزادوا فيه

بلاغةُ استعمال الاسم الموصول في ﴿مِمَّن كَذَّبَ﴾:

وقوله ﷻ: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَّبَ﴾، و(مَن) الأولى استفهاميَّة، والثَّانية موصولة[2]، وقد جيء باسم الموصول لتدلَّ الصِّلة على تعليل الحكم، ووجه بناء الخبر؛ لأنَّ من ثبَت له مضمون تلك الصِّلة، كان حقيقًا بأنَّه لا أظلم منه[3]، فقد بالغوا في ممارستهم أنواع الظُّلم كِبْرًا وعُتُوًّا، وبين (مَن) الأولى و(مَن) الثَّانية: جناسٌ تامٌّ، فتوافق معنى الظُّلم التَّامِّ مع الجناس التَّامِّ.

الكِبْرُ هو سبب العتوِّ والصَّدِّ عن سبيل الله

المبالغةُ في الذَّمِّ من خلال قوله تعالى: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ﴾:

في قوله: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ﴾ مبالغة في الذَّمِّ، حيث كذّب الظالم بآيات الله، وجعل غيره يعرض عنها، ويكذّب بها[4]، فكان الجزاء من جنس العمل، فكما أنَّهم بالغوا في ظلمهم، فقد جاء الجزاء بالمبالغة في ذمِّهم؛ إذ إنَّهم لم يكتفوا بالإعراض، وإنَّما حثُّوا النَّاس على ذلك، ومنعوا النَّاس من الهداية.

جاء وصفُهم بالمبالغة في الظّلم لمبالغتهم في التّكذيب

سرُّ التَّضعيفِ في لفظ ﴿كَذَّبَ﴾:

الجمهورُ على تشديد الذَّال في ﴿كَذَّبَ﴾، وقرئ: بتخفيفها على

(1) المطعنيّ، التّفسير البلاغيّ للاستفهام: 1/356.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 8/182.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 8/182.
(4) أبو حيّان، البحر المحيط: 4/697.

تضمين كَذَبَ معنى: كَفَرَ؛ لأنَّ معنى: كَذَبَ بالشَّيء، وكفر به سواء، ويحملنا على هذا التَّضمين إتيان الباء في ﴿بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ﴾، وقوله: ﴿وَصَدَفَ عَنۡهَاۗ﴾، أي: وأعرض عنها، والمعنى: لا أحد أظلم ممَّن كذَّب بآيات الله، بعدما عرف صحَّتها وصدقها، أو تمكَّن من معرفة ذلك، وأعرض عنها من غير استدلال ولا تفكُّر[1].

التَّكذيبُ بآياتِ الله؛ هو اتِّباعُ سُبُل غيرِ سبيلِ الله

معنى الباءِ في قوله تعالى: ﴿بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ﴾:

عمومُ معنى الباء هو: الإلصاق؛ وفائدتها: معرفة أنَّ تكذيب المُكذِّبين بآيات الله، كان بعد تماسٍّ مباشر مع تلك الآيات، ومعرفة حقائقها، وألَّا شكَّ فيها ولا مراء، فقد علموا من خلال ما أوتوا من البيان والفصاحة: أنَّه كتاب الله، وأنَّ تلك الآيات ليست من عند بشر.

المكذِّبونَ عايشوا الآيات الَّتي من عندِ الله، ثمَّ أنكروها

نُكْتَةُ إضافةِ الآيات إلى لفظ الجلالة:

فائدةُ إضافةِ الآيات إلى الله تعالى في قوله تعالى: ﴿مِمَّن كَذَّبَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ﴾ هو بيانُ عظيم شأنها، وأنَّها الآيات الَّتي لا يمكن أن تُنكَر، ولا يمكن أن تُعارَض، فلن يستطيع مخلوق أن يأتي بما يعارض آيات الله الخالق لكلِّ شيء، فيكون أيضًا في الآية تيئيس من إيمان هؤلاء المكذِّبين لآيات الله؛ أي: أنَّهم لن يؤمنوا لانصرافهم عن تلك الآيات، والصَّدِّ عنها، مع علمهم أنَّها آيات الله.

آياتُ اللهِ هي سبيلُ اللهِ الَّذي يحقِّق الاستقامةَ لمتَّبعيه

الالتفاتُ في قوله: ﴿فَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ﴾:

قوله: ﴿فَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ﴾ المراد من الموصول في قوله ﴿مِمَّن كَذَّبَ﴾ أولئك المخاطبون، ووضع موضع ضميرهم بطريق الالتفات، حيث التفت من الخطاب إلى الغيبة تنصيصًا على اتِّصافهم بما في حيِّز الصِّلة، وإشعارًا بعلَّة الحكم، وإسقاطًا لهم عن رتبة الخطاب، وعبَّر عمَّا جاءهم بآيات الله تعالى تهويلًا

إسقاطُ المشركين عن رتبةِ الخطابِ لما اقترفوه مِنَ الظُّلمِ

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 8/182.

للأمر[1]، وتنبيهًا على أنَّ تكذيبَ أيّ آيةٍ كانت من آياتِ الله تعالى كافٍ في الأظلميَّة، فما ظنُّك بتكذيب القرآن المنطوي على الكلِّ، والمعنى: إنكارُ أن يكون أحدٌ أظلم ممَّن فعل ذلك، أو مساويًا له[2].

بلاغةُ العدول من الإفراد إلى الجمع في ﴿ٱلَّذِينَ﴾:

يتكاثرُ المُعرضون عنِ الإيمانِ في الأزمنةِ والأمكنة، ثُمَّ تجمعُهم عقوبةٌ واحدةٌ

لمَّا ذكر ظلم النَّفس في تكذيب آيات الله ذكرها بالإفراد مُخاطبًا النَّفس ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَّبَ﴾، وكأنَّه خطابٌ موجَّهٌ إلى نفس كلِّ واحدٍ من أولئك الَّذين كذَّبوا بآيات الله، اهتمامًا بكلِّ نفسٍ، وطلبًا للرُّجوع عن هذا الظُّلم، فلمَّا انتقل إلى مشهد الجزاء؛ جمع أولئك الَّذين كانوا يُكذِّبون، وجعلهم في مشهد واحد، وجزاءٍ واحدٍ، وعقوبة واحدة، فهم مشتركون جميعًا في جريمة واحدة، وستكون عقوبتهم كذلك واحدة.

فعليَّة جملة ﴿يَصْدِفُونَ﴾ ودلالةُ الالتفاتِ:

الظّلم والأفعال المنكرة سببٌ في تجدّد الإصرار على المَعصيَةِ

جاءت جملة صلة الموصول فعلًا مضارعًا؛ لتدلَّ على إصرار المشركين، وتجدُّد ذلك الإصرار والإعراض والتَّكذيب، وصدِّهم عن سبيل الله، فالتفت من الماضي (صدف) إلى المُضارع يصدفون، وكذلك عدل عن المفرد إلى الجمع، للدلالة على الجزاء الواحد، والعقوبة الثَّابتة لكلِّ فرد من أفراد الَّذين يصدفون عن آيات الله تعالى.

بلاغةُ الإضمارِ بعد الإظهارِ ﴿ءَايَٰتِنَا﴾:

تعظيمُ شأنِ الآياتِ في القرآنِ تهذيبٌ للنُّفوس، وتربيَةٌ لها

بعد أن ذكر لفظ الجلالة في قوله: ﴿بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾، أضمر في قوله: ﴿ءَايَٰتِنَا﴾ إيجازًا، فالتفت من ذكر لفظ الجلالة ﴿ٱللَّهِ﴾ إلى صيغة المُتكلِّمين، فجاء بضمير الجمع تعظيمًا لتلك الآيات، وما في ذلك من تهذيب نفوس المؤمنين على تعظيم القرآن الكريم والرِّسالة

(1) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 3/202، والآلوسّي، روح المعاني: 4/304.
(2) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 3/202.

النَّبويَّة، ثمَّ إنَّ دلالة هذا الحضور ﴿ءَايَتِنَا﴾ في سياق قوله: ﴿سَنَجۡزِي ٱلَّذِينَ يَصۡدِفُونَ عَنۡ ءَايَتِنَا﴾، غاية الوعيد بأشدِّ العذاب، فناسب ذلك قوله: ﴿سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِ﴾.

نكتةُ إضافةِ الصِّفةِ إلى الموصوفِ في قوله ﴿سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِ﴾:

السُّوءُ والعذابُ معنيان مُتراكِبان، وذلك أسوأُ وعيدٍ للمُكذِّبين

في المركّب الإضافي ﴿سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِ﴾، جاء لفظ ﴿سُوٓءَ﴾ مضافًا إلى الموصوف ﴿ٱلۡعَذَابِ﴾؛ لأنَّ الصِّفة تضمَّنت معنًى ليس في الموصوف، فصحَّت الإضافة للمغايرة[1]، فتكون النُّكتة البلاغيَّة في الإضافة تراكب معنيين: هما السُّوء والعذاب معًا، والمعنى المُستحصَل من تلك الإضافة: أنَّ العذاب الَّذي سيلاقونه، هو أسوأ ما يلاقيه ظالم على ظلمه يوم القيامة.

دلالةُ (ال) في لفظ ﴿ٱلۡعَذَابِ﴾:

(الـ) في لفظ العذاب في قوله: ﴿سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِ﴾ للتَّعظيم ولاستغراق كلِّ أصناف العذاب، فأفعالهم هي أفعال أظلم النَّاس في هذه الحياة، وهو تكذيبهم بآيات الله والصَّدُّ عنها.

(الـعـذاب) في الآيةِ أُريدَ به جنسُ العذابِ الشَّاملِ لأصنافه

الذِّكرُ في موضع الإضمار توكيدًا:

كرَّر قوله: ﴿بِمَا كَانُواْ يَصۡدِفُونَ﴾ وهو موضع إضمارٍ؛ لأنَّه سبق أن ذكر العبارة نفسها، فقال: ﴿سَنَجۡزِي ٱلَّذِينَ يَصۡدِفُونَ عَنۡ ءَايَتِنَا سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِ﴾، ففُهِمَ من الآية أنَّهُم سيُجزون بما كانوا يصدفون، لكنَّه ذكرها توكيدًا؛ إذ يُفهم من هذا التَّكرار أنَّ هذا العذاب واقع بهم لا محالة.

تـكـرارُ الـعـبـارةِ يُفهِمُ أنَّ الأمر لا مردَّ له، وأنَّه آتٍ لا محالةَ

معنى الباءِ في قوله تعالى: ﴿بِمَا كَانُواْ يَصۡدِفُونَ﴾:

في قوله تعالى: ﴿بِمَا كَانُواْ يَصۡدِفُونَ﴾، الباء للسَّببيَّة، أي: بسبب ما كانوا يصدفون، فلا يُجزون إلَّا بما سوَّلت لهم أنفسهم، واقترفت أيديهم، وأنَّه سبحانه، مهما أذاقهم من سوء العذاب، فإنَّ ذلك

جـزاءُ المشركين مـن جـنـسِ عـمـلـهـم، وبـسـبـب مـا اخـتـاروا لأنفسهم

(1) ابن قيّم الجوزيّة، بدائع الفوائد: 1/27.

من استحقاقهم، فقد جاءهم النَّذير من قبل، والخطاب الإلهيُّ والتَّحذير النَّبويُّ، فلمَّا أعرضوا؛ أصابهم العذاب.

دلالةُ (ما) في قوله تعالى: ﴿بِمَا كَانُواْ يَصْدِفُونَ﴾:

(ما) اسم موصول بمعنى: (الذي) وهو لغير العاقل، أي: بالذي كانوا يصدفون وهو الإعراض والصَّدُّ عن سبيل الله، فيكون جزاؤهم بمثل أعمالهم المقصودة في الآية، وهي الصُّدوف عن الحقِّ، والإعراض عن صراط الله المستقيم، إذ سلكوا سُبُل الباطل، فتفرَّقت بهم عن سبيل الله.

أعرضُوا لسلوكِهم سُبُلَ الباطلِ وتركِهم صراطَ اللهِ المستقيمَ

دلالةُ (كان) في قوله تعالى: ﴿بِمَا كَانُواْ يَصْدِفُونَ﴾:

الفعل الماضي النَّاقص (كان) في قوله تعالى ﴿بِمَا كَانُواْ يَصْدِفُونَ﴾ دالٌّ على قدم ما هم فيه من حالة التَّكذيب، و(كان) تفيد هنا الاتِّصاف بالحدث في الزَّمن الماضي على وجه الثُّبوت، فقد ثبت عليهم إعراضُهم وإصرارهم وإنكارهم، فاستحقُّوا الجزاء الموصوف بسوء العذاب.

ثَبَتَ عليهم الإعراضُ والإصرارُ، فاستحقُّوا سوءَ العذاب في النَّار

نكتةُ حذفِ مُتَعَلَّقِ ﴿يَصْدِفُونَ﴾:

﴿يَصْدِفُونَ﴾ فعل مضارع متجدِّد مع الزَّمن؛ لأنَّهم مستمرُّون في تكذيبهم لآيات الله، وقد حُذف مُتَعَلَّقُ ﴿يَصْدِفُونَ﴾ للإيجاز، ولعدم التَّكرار، فقد سبق أن ذكر المعنى بقوله: ﴿سَنَجْزِي ٱلَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ ءَايَٰتِنَا﴾، فاكتفى في الثَّانية إيجازًا، بعدم ذكر متعلِّق الفعل.

محورُ الكتابِ والآياتِ: الإيمانُ والتَّكذيبُ بالرِّسالاتِ

الالتفاتُ منَ الغيبةِ إلى التَّكلُّم: ﴿بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ ﴿سَنَجْزِي﴾:

الالتفات من ذكر لفظ الجلالة ﴿ٱللَّهِ﴾ إلى ضمير الجمع ﴿سَنَجْزِي﴾، فائدته مواجهة المشركين المكذّبين بتكذيبهم لينزجروا ويتوبوا إلى الله تعالى ويعودوا إلى رشدهم، وتبصيرهم بأنّهم يتجاسرون على تكذيب آياتنا والإعراض عنها، وسنجزيهم على ذلك كلّه.

يكون الجزاءُ بإحضارِ المشركين يومَ القيامة لينالوا ما يستحقُّون

❁ الفُروقُ المُعْجَمِيَّةُ:

(الإعراض) و(الصَّدّ) و(الصُّدوف):

الإعراضُ عن الشَّيء، بمعنى: الإدبار عنه، فإن قيل: أَعْرَضَ عنِّي، فمعناهُ: ولَّى مُبْدِيًا عَرْضَهُ، قال: ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ﴾ [السّجدة: 22]، وقال: ﴿وَهُمْ عَنْ ءَايَـٰتِهَا مُعْرِضُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [الأنبياء: 32][1]، وَيُقَالُ: أَعرَض فُلَانٌ، أَي: ذهَب عرْضًا وَطُولًا[2]، وأمَّا الصَّدُّ والصُّدود فقد يكون انصرافًا عن الشَّيء وامتناعًا، نحو: ﴿يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ﴿٦١﴾﴾ [النّساء: 61]، وقد يكون صرفًا ومنعًا، قال تعالى: ﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ أَعْمَـٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ﴾[3]، وأمَّا الصَّدْف والصُّدوفُ فمن الفعل "صدف عنه، أي: أعرض إعراضًا شديدًا، يجري مجرى الصَّلابة، كصدف الجبل، أي: جانبه، أو الصَّدف الَّذي يخرج من البحر"[4].

الإعـــراضُ: الإدبارُ، والصَّدُّ: الانـــصـــرافُ، أَمَّا الـصُّـدوفُ؛ فـأشـدُّ الـصَّـدِّ والإعراضِ

ممَّا سبق: يَتبيَّن أنَّ الصَّدْف والصُّدوف هو أشدُّ الصَّدِّ والإعراض، ولذلك قال تعالى: ﴿سَنَجْزِى ٱلَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ ءَايَـٰتِنَا سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ﴾؛ إذ لا يستحقُّ سوء العذاب إلَّا من اتَّصف بصفة الصَّدْف عن الآيات بإعراضه الشَّديد المُتَّصل أمام الحقِّ.

(الآية) و(البيِّنة):

الآية: هي المعجزة، وهي ما يدلُّ على تصديق اللّه تعالى للمدَّعي، في دعواه الرِّسالة[5]، والبيِّنة: الحُجَّة والبيان: والبَيِّنُ من الرِّجال: الفَصيحُ، وجاء ببيان ذلك وبَيِّنته، أي: بحجَّته، ورجل بيِّنٌ: فصيح ذو بيان[6]. قال سبحانه: ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ [هود: 17]،

الآيـةُ: المُعجِزةُ الـدَّالَّـةُ على صِـدقِ المُرسَلِ، والبيِّنةُ: الدَّليلُ مع وضوحٍ

(1) الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن: (عرض).
(2) الجوهريّ، الصّحاح، وابن منظور، لسان العرب: (عرض).
(3) الرّاغب، المفردات: (صدد).
(4) الرّاغب، المفردات: (صدد).
(5) فضل عبّاس، إعجاز القرآن الكريم، ص: 20.
(6) الخليل، العين: (بين).

وقال: ﴿لِّيَهۡلِكَ مَنۡ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٖ وَيَحۡيَىٰ مَنۡ حَيَّ عَنۢ بَيِّنَةٖۗ﴾ [الأنفال: 42]، وقال: ﴿وَجَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِۖ﴾ [الرّوم: 9]. ويقال: آية مُبَيَّنَة؛ اعتبارًا بمن بيَّنها، وآية مُبَيِّنَة؛ اعتبارًا بنفسها، وآيات مبيَّنات ومبيِّنات[1]، فتأتي عادة الآية موصوفة بالبيان، أي: بالوضوح، فقوله: ﴿وَلَقَد تَّرَكۡنَا مِنۡهَآ ءَايَةَۢ بَيِّنَةٗ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ٣٥﴾ [العنكبوت: 29]. فاختار البيِّنة في الآية الكريمة؛ لأنَّها تشمل البيان والوضوح والدَّليل والمُعجزة، وذلك كناية عن القرآن الكريم.

(1) الرّاغب، المفردات: (بين).

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثاني عشر، سورة الأنعام من الآية 124 إلى سورة الأعراف الآية 13
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1445هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: سورة الأنعام من الآية 124 إلى سورة الأعراف الآية 13 [إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 12 ، 804 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-798-64-4
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 12 : سورة الأنعام من الآية 124 إلى سورة الأعراف الآية 13.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن- ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-798-64-4
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-1637585 بتاريخ 2023/12/19م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»